

المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلي

في بيت المقدس

1987 - 2015

تأليف
خلاد إبراهيم أبو عرفة



الفصل الأول

مكانة القدس وضرورة المقاومة

مكانة القدس وضرورة المقاومة

أولاً: مكانة القدس لدى أهل الديانات:

أشارت الدراسات التاريخية إلى أن الفلسطينيين عمّروا أرض فلسطين قبل نحو 1,500 عام من إنشاء بني إسرائيل دولتهم المسماة مملكة داود، 586-1000 ق.م، ثم زال حكمهم وحكم من أعقبهم كالأشوريين والفرس والفرعنة والإغريق والرومان، بينما ظلّ الشعب العربي في فلسطين راسخاً في أرضه. وكان الحكم الإسلامي هو الأطول مدة، حيث استمر قرابة 1,200 عام ما بين 636-1917، باستثناء الفترة الصليبية التي استغرقت 90 عاماً.

وقد انقطعت قدرة اليهود على التأثير عملياً في حركة الأحداث في فلسطين إلى حين إقامة دولة "إسرائيل" سنة 1948. وحسب عدد من الدراسات وبعض أصحابها من اليهود مثل الكاتب آرثر كوسترل Arthur Koestler، فإن أكثر من 80% من اليهود المعاصرين، لا يمتّون تاريخياً بأيّ صلة لفلسطين، كما لا يمتون قومياً لبني إسرائيل، فالأغلبية الساحقة لليهود اليوم تعود إلى يهود الخزر - الأشكناز Ashkenazim، وهي قبائل تترية تركية قديمة كانت تقيم في شمالي القوقاز، وتهودت في القرن الثامن الميلادي¹.

والقدس في اعتقاد الفلسطينيين المقدسين، ذات مكانة دينية وحضارية وتاريخية مرموقة، ويضاعف من قدرها في اعتقادهم كونها مقدسة لدى الأديان الثلاثة الكبرى. وقد حفلت المدينة بتاريخ غني وعظيم لكونها أيضاً ذات أهمية جغرافية كبيرة، حيث تقع في بؤرة تواصل العالم القديم بقاراته الثلاث. وهذا ما جعلها - شأنها شأن فلسطين التاريخية ككل - هدفاً لجميع القوى السياسية الدولية، على مرّ العصور.

¹ محسن محمد صالح، حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية: رؤية إسلامية (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2013)، ص 12.

1. القدس عند اليهود:

تحتل القدس موقعاً رئيسياً في الفكر اليهودي الصهيوني، بسبب الحاجة إلى تعبئة وحشد الرأي العام اليهودي في الشتات، وربطه بـ "أرض الميعاد"، وتوجيهه للهجرة إلى فلسطين، ليتحقق للصهيونية تطبيق شعارها بعودة "شعب بلا أرض، لأرض بلا شعب"². وتشغل القدس اليوم، أو "أورشليم" في المصطلح الديني الإسرائيلي، مكاناً مركزياً في الوجدان اليهودي. فقد استولى عليها نبي الله داود عليه السلام، ونقل إليها "تابوت العهد"، ثم بنى ابنه سليمان عليه السلام فيها الهيكل. ويُطلق على المدينة في الموروث الديني كذلك اسم "صهيون". وهي تضم أيضاً جبل صهيون، وقبر داود، و"حائط المبكى". واستمر اليهود عبر سنوات شتاتهم يتجهون إلى أورشليم في أمانهم ويذكرونها في صلواتهم، وخصوصاً في الاحتفال بعيد الفصح حيث يرددون: "نلتقي في العام القادم في أورشليم"³.

وتضم القدس اليوم أكثر من 15 كنيسة و"معبداً يهودياً أثرياً". جميعها إما أبنية مستأجرة، أو أبنية أنشئت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وأهم المقدسات اليهودية "المتخيلة" حسب زعم الأدبيات المعاصرة هو "قدس الأقداس"، وهو مركز "خلق العالم"، ويقع "قدس الأقداس" — حسب المعتقد اليهودي — في مركز "هيكل سليمان"، الذي بدوره يقع في مركز مدينة "أورشليم" حسب مصطلحاتهم. ويزعم اليهود أن الهيكل يقع في "منطقة ما" قرب أو أسفل قبة الصخرة المشرفة⁴.

2. القدس عند المسيحيين:

المسيحيون المقدسيون هم فلسطينيون بالدرجة الأولى، ويرون في القدس عاصمتهم السياسية والدينية والثقافية والاقتصادية، وقدسيتها متأتية من كونها "مكان الوحي الإلهي" على مرّ العصور، حتى قبل المسيحية، والقدس في المسيحية مكان "الفداء" و"الخلاص"، ومكان انطلاقاً إلى العالم أجمع دون تمييز بين عرق وجنس.

² محمد عقل هلسة، القدس في الفكر التوراتي الصهيوني، موقع المركز الفلسطيني للإعلام، 2008/12/18، انظر: <https://www.palinfo.com/>

³ عبد الوهاب المسيري، "القدس: مكانتها في الوجدان الديني اليهودي"، في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (مصر: دار الشروق، 1999).

⁴ انظر الموقع الرسمي لوزارة السياحة والآثار الفلسطينية، استرجعت في 2015/8/5.

وهذا ما أوصى به السيد المسيح ﷺ، قائلاً: ”ستكونون لي شهوداً في أورشليم، وفي جميع اليهودة والسامرة، وإلى أقاصي الأرض“⁵. وقوله أيضاً: ”أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم بإسم الأب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر“⁶.

وقد ذكرت القدس في الإنجيل عشرات المرات، وفيها من الكنائس والآثار ما يشهد على أهميتها الدينية والتاريخية عند المسيحيين. وتدلّ كثرة هذه الشواهد على ملازمة السيد المسيح لهذه المدينة معظم أيام حياته، وفيها جرت على يديه الآيات العظيمة، من شفاء المرضى، وإحياء الموتى، وغير ذلك من الآيات⁷. وفي المدينة ”طريق الآلام“ الشهير، وفيها يعتقد المسيحيون بـ”صلب يسوع المسيح“.

وفي القدس كنيسة ”القيامة“ وكنيسة ”نصف الدنيا“، إلى جانب 47 أثراً دينياً وتاريخياً. وفيها كذلك ”دير مار إبراهيم“ للروم الأرثوذكس، وكنيسة ”الجلجل“ التي تشمل كنيستين أخريين. ويعتقد المسيحيون جملة من العقائد، من بينها أن إحدى هاتين الكنيستين تدلّ على موقع يسوع المسيح، وفيها كذلك ”قبر الخلاص“ حيث ”جثمان يسوع“، وأن القدس هي المكان الذي حلّ فيه ”الروح القدس“، ويرون أن ”أورشليم الأرضية“ هي انعكاس لـ”أورشليم السماوية“، وأن القدس هي منشأ الكنائس والطقوس الدينية في العالم أجمع⁸.

وقد صرّح رؤساء الكنائس المسيحية في مدينة القدس في ”مذكرة المفهوم المسيحي للقدس“، المؤرخة في 1994/11/23، أن ”القدس بالنسبة إلى المسيحيين المحليين، كما هو الحال أيضاً بالنسبة إلى المسلمين واليهود المحليين، ليست مدينة مقدسة فحسب، بل هي المدينة التي ولدوا فيها، وفيها يعيشون. ومن ثمّ حقهم في متابعة العيش فيها، مع كل الحقوق التي تنجم عن ذلك“⁹.

⁵ الكتاب المقدس (الإنجيل)، أعمال الرسل 1:8.

⁶ الكتاب المقدس (الإنجيل)، متى 19-38:20؛ وجمال خضر، الإرث العربي المسيحي في القدس، مؤتمر يوم القدس، جامعة بيت لحم، كلية الآداب، 1992، ص 18.

⁷ جمال خضر، الإرث العربي المسيحي في القدس، ص 19.

⁸ المرجع نفسه، ص 20.

⁹ المرجع نفسه، ص 23.

3. القدس عند المسلمين:

تشير كتب التاريخ إلى حرص الأنبياء والصالحين على زيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه، والسكن في بيت المقدس ومجاورة الأقصى. فقد زار بيت المقدس على المشهور من الروايات الصحيحة، كل من: أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وإسحق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، ودنا موسى من المدينة لكنه مات دون أن يدخلها. وزارها كذلك أنبياء الله: يوشع، وصاموئيل، وداود، وسليمان، وصالح، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ومحمد، عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه¹⁰.

المسلمون يؤمنون بجميع الأنبياء دون تفريق بينهم، امتثالاً للآية الكريمة ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾¹¹.

والقدس أو "بيت المقدس"، كانت القبلة الأولى التي توجه إليها النبي صلى الله عليه وسلم في صلواته، ثم توجه إليها المسلمون 17 شهراً منذ فرضت عليهم الصلاة، قبل أن تتحول القبلة إلى مكة المكرمة¹². كما أن القدس في عقيدة المسلمين هي أرض المسرى التي أسرى إليها النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليلاً، ثم عرج منها إلى السماء، فكانت القدس آية كريمة في صدر سورة الإسراء تتلى إلى قيام الساعة¹³، وهي ثالث المدن المعظمة في الإسلام¹⁴، وأرض النبوات

¹⁰ محسن محمد صالح، الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين (لندن: فلسطين المسلمة، 1995)، ص 56.

¹¹ القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 84.

¹² عبد الفتاح العويسي، البعد الأكاديمي والمعرفي لبيت المقدس، سلسلة دراسات بيت المقدس (دمشق: مؤسسة فلسطين للثقافة، 2008)، ص 187. نذكر هنا أن اليهود قد أثاروا في العهد النبوي ضجة كبيرة حول توجه المسلمين من بيت المقدس إلى مكة، وعالج القرآن فتنتهم هذه في سورة البقرة الآية 142-143.

¹³ حيث أسرى الله بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة للبعثة، سنة 620م، انظر: سورة الإسراء، الآية 1، وسورة النجم، الآية 13-18.

¹⁴ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا"، متفق عليه من رواية أبي هريرة، وقال: "الصلاة في المسجد الأقصى تعدل خمسمائة صلاة في غيره من المساجد، ما عدا المسجد الحرام والمسجد النبوي"، متفق عليه كذلك.

والبركات¹⁵، ومهد عيسى عليه السلام، وأرض الرباط والجهاد إلى يوم القيامة¹⁶. وبشر الرسول ﷺ المسلمين أنهم سيفتحون بيت المقدس عقب موته، وهذا ما كان، إذ فتحها المسلمون في السنة الـ16 للهجرة¹⁷.

وقد مدح النبي ﷺ العزة والأنفة في أهل بيت المقدس بقوله: ﴿لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ﴾. قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: ”بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ“¹⁸.

وبين النبي ﷺ للمسلمين أهمية بيت المقدس دون سائر البلدان في آخر الزمان، وحثهم على إتيانه والصلاة فيه. فقال في الحديث المشهور الذي روته ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ، إذ ”قالت: قلت يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس، قال: ”أرض المحشر والمنشر، اتئوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألْف صلاة في غيره“، قلت: رأيت إن لم أستطع أن أتحمّل إليه؟ قال: ”فتهدي له زيتاً يُسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه“¹⁹. وقد زار مدينة القدس من صحابة رسول الله جمعٌ غفيرٌ عند فتحها، وما تزال قصة فتح بيت المقدس على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب محفوظة لدى الفلسطينيين عامة والمقدسين خصوصاً، كما ما تزال وثيقة ”العهد العمرية“ المعقودة بين أمير المؤمنين ونصارى المدينة، تشكل أيقونة يفتخر بها المقدسيون حتى يومهم هذا.

¹⁵ ذكرها القرآن واصفاً إياها بأرض البركة في خمسة مواضع، هي: سورة الإسراء، الآية 1، وسورة الأنبياء، الآيات 71 و81، وسورة الأعراف، الآية 137، وسورة سبأ، الآية 18. قال المفسر ابن عطية: إجماع المفسرين على هذا القول.

¹⁶ يوسف القرضاوي، القدس قضية كل مسلم، ص 14. روى الصحابي أبو أمامة الباهلي، قال: قال رسول الله ﷺ: ”لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم... قالوا: فأين هم؟ قال: ”ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس“، رواه الإمام أحمد.

¹⁷ حدثنا الحميدي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الله بن العلاء بن زبر قال سمعت بسر بن عبيد الله أنه سمع أبا إدريس قال سمعت عوف بن مالك قال: ”أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم فقال: اعد سباً بين يدي الساعة، موتي ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقصاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً“ (رواه البخاري).

¹⁸ رواه الإمام أحمد في مسنده (22320) عن أبي أمامة الباهلي.

¹⁹ حسام الدين عفانة، فضل المرابطة في بيت المقدس، مجلة هدى الإسلام، العدد 218، محرم وصفر 1436هـ، تشرين الثاني/نوفمبر وكانون الأول/ديسمبر 2014، ص 11.

وقد تعمّقت مكانة القدس لدى الفلسطينيين، وعظم قدرُها بعد معارك فاصلة ومشهورة من تاريخ الدفاع عن الإسلام وفلسطين، كان للقدس دور الشاهد عليها، ومن هذه المعارك: معركة أجنادين جنوب فلسطين بقيادة الصحابي خالد بن الوليد، وفتح بيت المقدس في وسطها على أيدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وفي شمالها معارك: فحل بيسان، وحطين، وعين جالوت بقيادة شرحبيل بن حسنة وصلاح الدين الأيوبي وسيف الدين قطز. حيث شهدت هذه المعارك سيرة قادة عظام، روت دماء بعضهم تراب فلسطين وبيت المقدس.

وما تزال عمارة قبة الصخرة في المسجد الأقصى المبارك آية فنية معمارية عالمية، إضافة إلى العمارة التاريخية لكثير من المواقع الأثرية في البلدة القديمة وحولها، ويفتخر بها المقدسيون ويستقبلون لأجلها الآلاف من الحجاج والسياح من أنحاء المعمورة. وبسبب ذلك صارت القدس "مدينة وقفية" من الدرجة الأولى.

وقد اعتاد المقدسيون المسلمون إلى عهد قريب، كغيرهم من المسلمين في أنحاء العالم، إذا ما أرادوا تأدية فريضة الحجّ إلى مكة المكرمة، أن يزوروا المسجد الأقصى فيصلوا فيه ركعتين، ما قبل أو بعد حجهم إلى مكة، وهو ما يسميه المسلمون "تقديس الحج"، أي زيارة بيت المقدس في موسم الحج. وفي هذا السلوك أهمية بالغة في الحفاظ على المدينة المقدسة والتواصل مع أهلها.

ثانياً: القدس مدينة وقفية من الدرجة الأولى:

تأسس في الإسلام شأن خاص لمدينة القدس والمسجد الأقصى، ممّا جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأهل الشورى من الصحابة رضي الله عنهم، يعلنون عن المدينة وأكنافها وقفاً إسلامياً إلى يوم القيامة، الأمر الذي رسّخ مكانة الأرض المقدّسة عبر الأجيال، ودفع الخلفاء والأمراء للتنافس في تشييد المساجد وأوقافها، والمعاهد الدينية ووقفياتها، في طول فلسطين وعرضها، وعلى الأخصّ أرض المسجد الأقصى المبارك، التي تزيّنت بالمسجد القبلي، ومسجد قبة الصخرة، إضافة إلى عشرات الأبنية المعمارية التي تركزت داخل أسوار المدينة تحديداً. ولم يقتصر بناء الوقفيات على المسلمين، فقد شيدت الطوائف النصرانية من المرافق الوقفية، ما تستضيف فيه الحجاج الذين يؤمّون كنيسة القيامة، وكنيسة قبر المسيح، وكنيسة صعود المسيح، وكنيسة العشاء السري، وكنيسة مريم، ومقام النبي داود، وغيرها.

ومن ثم كان للأوقاف وإدارتها على الدوام مكانة كبيرة في المجتمع الفلسطيني عامة وفي القدس خصوصاً، وتحديداً بعدما أدخل السلطان العثماني سليمان القانوني (1546-1566) تطويراً كبيراً على أنظمة الوقف، للقيام بمرافقها ومردودها المالي²⁰.

وفي القدس أينما نظر المرء في جهات المدينة الأربع، خصوصاً في البلدة القديمة منها، رأى أثراً ووقفاً تاريخياً:

ففي مدينة القدس، المعالم الوقفية والتاريخية: كالمساجد والسبل والتكايا والخانات والأروقة والمدارس والأضرحة والمقابر الجماعية، من بينها أكثر من تسعة قبور لصحابة رسول الله ﷺ، وأكثر من 400 قبراً للعلماء والأعيان ورجال الحكم والقادة، فضلاً عن ما يزيد على 300 معلم تاريخي، و46 مدرسة تاريخية، و39 زاوية وضريحاً وتربة، و25 مسجداً، و22 سبيلاً وحماماً، و35 قبة ومحراباً وباباً، و34 طريقاً و9 أسواق.

وتبلغ اليوم ملفات العقارات وأراضي الوقف والمزروعات في إدارة الوقف الإسلامية 740 ملفاً²¹.

وقد شغلت "مؤسسة الأوقاف" ومرافقها دوراً مهماً في حمل الهمّ الشعبي، وتعاضم هذا الدور في فترة الانتداب البريطاني، ومن ثمّ الاحتلال الصهيوني لفلسطين. حيث شكلت المؤسسة نزعاً اقتصادياً داعماً للحركة الوطنية الفلسطينية في بداياتها، مما دفع المحتلين لاستهدافها استهدافهم للحركة الوطنية وإضعافها إلى درجة الاستئصال والإزالة.

وهذا السبب هو الذي دفع بالحركة الوطنية الفلسطينية لتأسيس "المجلس الإسلامي الأعلى" في سنة 1921 ومقرّه مدينة القدس، والذي بدوره احتضن ما استطاع من صلاحيات الأوقاف الإسلامية، التي استأثرت بها قوّات الانتداب البريطاني، مستفيدة من مردوداتها المالية والنفعية الهائلة²².

²⁰ سامي الصلاحيات، الأوقاف الإسلامية في فلسطين ودورها في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2011)، ص 29.

²¹ المرجع نفسه، ص 24.

²² المرجع نفسه.

ثالثاً: الوضع القانوني للقدس المحتلة:

بالرغم من أهمية مدينة القدس تاريخياً وأثرياً، وحساسية ظرفها الديني والسياسي، إلا أن الاحتلال الإسرائيلي ضرب بعرض الحائط كافة الاعتبارات المحلية والإقليمية والدولية تجاه المدينة وظرفها الخاص، منذ احتلالها في سنة 1967 وحتى يومنا هذا. وقد سجلت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization (UNESCO) مدينة القدس كأحد أهم الآثار التاريخية والإنسانية التي يجب الحفاظ عليها وعدم تغيير معالمها، لكن لم يترتب على هذا الموقف أي إجراء تنفيذي، وما تزال المدينة مصنفة لدى المؤسسات الدولية الأممية كمدينة عربية فلسطينية، بينما تعمل قوات الاحتلال الإسرائيلي في سباق مع الزمن لتحويلها وتغيير معالمها وطرد سكانها الفلسطينيين.

ولم يُحسم الوضع القانوني لـ "كل مدينة القدس" في القانون الدولي، كما أن آخر قرار دولي يعالج مسألة القدس مجتمعة هو قرار التقسيم لسنة 1947، الذي يضع كل "منطقة القدس" ضمن إدارة دولية لما يُسمّى بـ "كوربوس سبراتوم Corpus separatum" كجسم منفصل. لذلك عدت كل الخطوات الإسرائيلية ما بعد سنة 1948 بموجب القانون الدولي غير قانونية، ولم يتم الاعتراف بغربي القدس كعاصمة لـ "دولة إسرائيل"، وُعدت مناطق محتلة، وقرار مجلس الأمن الدولي United Nations Security Council رقم 242 لا يلغي مكانة القدس في القانون الدولي، كما لم تلغ الاتفاقيات والتفاهات الفلسطينية - الإسرائيلية هذه المكانة منذ اتفاقيات أوسلو في سنة 1993. بل ومن المفيد التذكير، بأن اتفاقيات أوسلو قد وضعت القدس، دون تحديد لجغرافيتها، "شرقيها وغربيها"، ضمن موضوعات مفاوضات الحل النهائي²³.

وبالتالي فإن شرقي القدس يخضع منذ احتلاله في سنة 1967 للقوانين الإسرائيلية من خلال "الأمر الواقع"، بالرغم من أن السكان الفلسطينيين لا يحملون الجنسية الإسرائيلية. فـ "إسرائيل" كانت قد ضمت شرقي القدس نافية صفة الاحتلال عنه، بينما لم تضم السكان الذين يعيشون فيها²⁴.

²³ نظمي الجعبة، الإسكان في القدس: بين مطرقة الاستيطان والإمكانات المتاحة، سلسلة "أوراق تقييم أداء" (رام الله: معهد السياسات العامة، 2009)، ص 8.

²⁴ المرجع نفسه.

توضح الملاحظتان التاليتان الموقف القانوني الدولي من مدينة القدس:

- أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة General Assembly of the United Nations قرارات عديدة بمضامين مختلفة، تذكر معظمها مدينة القدس وتشير إلى بطلان ورفض أيّ متغيرات في وضع المدينة، فيما يعدّ شرقي القدس جزءاً من الأراضي المحتلة سنة 1967²⁵.
- أصدر مجلس الأمن الدولي عدة قرارات بشأن مدينة القدس منذ سنة 1967. وجميعها تشجب الانتهاكات الإسرائيلية وتدعوها لوقف إجراءات التهويدية، وتشير إلى بطلان تلك الإجراءات الهادفة إلى تغيير هوية المدينة، وتطلب من "إسرائيل" الالتزام بمسؤولياتها القانونية بموجب اتفاقية جنيف الرابعة Fourth Geneva Convention لسنة 1949 المتعلقة بحماية المدينة والمدنيين وقت الحرب²⁶.

رابعاً: حقّ الفلسطينيين في مقاومة الاحتلال:

مقاومة الاحتلال وجه من وجوه تعبير المقدسيين عن رفضهم للاحتلال وسياساته، وأسلوب من أساليب دفاعهم عن حقهم في تقرير مصيرهم، ودفاعهم عن أنفسهم وممتلكاتهم ومجمل حقوقهم. ويناضل المقدسيون في تثبيت حقهم في المقاومة، الحق الذي كفلته لهم القوانين والقرارات الدولية، فيما يحاول الاحتلال بكافة السبل، طمس هذا الحق باستخدام سياسات الترغيب والترهيب، ومن خلال تشويه الوضع القانوني لمدينة القدس.

ويستمدّ المقدسيون حقهم في المقاومة من عدالة قضيتهم، ومن يقينهم وقناعتهم في أنهم أصحاب الأرض وأهلها، وأنهم سكنوا هذه المدينة من لدن آبائهم وأجدادهم دون أن يحتلونها أو يسرقونها أو يظلموا حقّ أحد فيها. ويؤكد المقدسيون كيف أن القوات الإسرائيلية هي التي احتلت المدينة وطردت جلّ أهلها وضيقت عليهم وحرمتهم الأمن والحرية والاستقلال.

²⁵ منظمة التحرير الفلسطينية، اللجنة التنفيذية، دائرة شؤون القدس، ممارسات وإجراءات الاحتلال الإسرائيلي منذ حزيران 1967-2009، سلسلة أوراق القدس (1) (القدس: منظمة التحرير الفلسطينية، اللجنة التنفيذية، دائرة شؤون القدس، 2010)، ص 61.

²⁶ المرجع نفسه، ص 62.

كما يستمد المقدسيون حقهم في المقاومة من توجيهات الشرائع السماوية، التي قدست حقوق الإنسان وعظمت خصوصياته المتمثلة بالروح، والبدن، والمال، والعقل، والحرية، والعرض، كذلك أكدت الشرائع على وحدة النسيج المجتمعي وأمنه السلمي. بالمقابل شددت الشرائع عقابها ووعيدها على من يتسبب بأي اعتداء أو ظلم على هذه الحقوق، وتحتفي الكتب السماوية بالكثير من النصوص الدينية التي تعالج حق الإنسان والمجتمع في الحرية والأمن والإستقلال.

1. الحق القانوني في مقاومة الاحتلال:

- أشارت الفقرة الثانية من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 2621 في الدورة 52، المؤرخ في 1970/10/12، إلى ”حقّ الشعوب المستعمرة الأصيل، في الكفاح بكل الطرق الضرورية التي في متناولها، ضدّ الدول الاستعمارية التي تقمع تطوراتها إلى الحرية والاستقلال“²⁷.
- اعترفت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها 2672 ج، المؤرخ في 1970/12/8، بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، حيث جاء في القرار:

إذ نأخذ بعين الاعتبار مبدأ تساوي الشعوب في الحقوق، وحقها في تقرير المصير المثبت في المادتين 1 و55 من ميثاق الأمم المتحدة، والمعاد تأكيده لآخر مرة في الإعلان الخاص بمبادئ القانون الدولي، المتعلقة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول وفقاً لميثاق الأمم المتحدة، فإننا:

- نعتز لشعب فلسطين بالتساوي في الحقوق وبحق تقرير المصير وفقاً لميثاق الأمم المتحدة.
- نعلن أن الاحترام التام لحقوق شعب فلسطين غير القابلة للتصرف هو عنصر لا غنى عنه في إقامة سلم عادل ودائم في الشرق الأوسط. وقد استمرت الجمعية العامة بإصدار القرارات التي تؤكد على حقّ الشعب الفلسطيني في تحقيق مصيره، ثم التأكيد على حقه في استخدام كافة الوسائل التي تكفل ممارسته لحقه في تحقيق مصيره، فأصدرت القرار (2787 د 26)،

²⁷ الحركة العالمية للدفاع عن الأطفال، والاتلاف الأهلي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في القدس، ومؤسسة الضمير لرعاية الأسرى وحقوق الإنسان، أسرى القدس في سجون الاحتلال الإسرائيلي، دراسة سياسية ديمغرافية اجتماعية اقتصادية (القدس: نيسان/أبريل 2008)، ص 20.

والقرار (3070 د 28)، ثم القرار (3089 د 28) الذي أكد على حق الفلسطينيين في استخدام القوة، بل ودعا الدول والمنظمات إلى مساندة ودعم الشعب الفلسطيني في نضاله مادياً ومعنوياً²⁸.

2. مبادئ منظمة العفو الدولية:

واستند حقّ المقدسيين في المقاومة كذلك، إلى ما تستدعيه الضرورة في دفاعهم عن لوائح حقوقهم العامة التي أقرتها العهود والمواثيق الدولية عامة، ومنها كذلك المبادئ العشرة التي تضمنتها وثيقة حقوق الإنسان الصادرة عن منظمة العفو الدولية Amnesty International، التي تضمن حقّ المقدسيين الكامل في الحياة والأمان على شخوصهم، وعدم تعرضهم للتعذيب، أو الاعتقال، أو الاحتجاز التعسفي، والحق في محاكمة عادلة عند الاعتقال، وكذلك الحق في حرية التنقل، وفي العودة إلى البلد والمنزل الأصلي، إضافة إلى الحق في حرية الفكر والرأي والتعبير²⁹.

كما أن خلوّ الاتفاقيات الموقعة بين "إسرائيل" ومنظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف) منذ اتفاقية أوسلو من الإشارة إلى العديد من حقوق الإنسان الفلسطيني، لا يبطل هذه الحقوق ولا يجعل الدفاع عنها أعمالاً إجرامية أو إرهابية. بل يؤكد هذا الخلوّ على تناقض هذه الاتفاقيات مع القرارات الدولية والمواثيق الإنسانية، الأمر الذي يعزز حقّ الفلسطينيين في مقاومة الاحتلال، والتصدي للاتفاقيات التي تنتقص من هذا الحق وتعترض طريقه.

أما الحكومات الإسرائيلية فقد دأبت منذ احتلالها للمدينة المقدسة، على وصف عمليات المقاومة الفلسطينية بأعمال التخريب والتشويش وغير ذلك، وذلك لنزع الصفة الأخلاقية والوطنية والإنسانية عن الفلسطيني، وعن حقه في مقاومته للاحتلال. وحاولت قوات الاحتلال الادعاء أن عمليات المقاومة لن تؤدي إلا إلى التخريب، ليس فقط لـ "إسرائيل" ومصالحها، بل أيضاً تخريب المصالح الفلسطينية، أملة أن تصدر أصوات فلسطينية تطالب بوقف أعمال المقاومة، حماية للمصالح الفلسطينية من التخريب³⁰.

²⁸ المرجع نفسه.

²⁹ مازن قمصية، المقاومة الشعبية في فلسطين: تاريخ حافل بالأمل والإنجاز (رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ومؤسسة ناديا للطباعة والنشر، 2011)، ص 25.

³⁰ عادل شديد، حين تصف إسرائيل الطفل الفلسطيني إرهابياً، صحيفة العربي الجديد، لندن، 2015/10/11.

خامساً: أسباب مقاومة المقدسيين للاحتلال:

منذ أن قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي ببسط نفوذها على مدينة القدس في سنة 1967، شرعت بتغيير حدود المدينة ومعالمها، وعزلها عن محيطها الفلسطيني والاعتداء المنهج على الأماكن المقدسة وتقييد الحريات الدينية لمواطنيها الأصليين، وكذلك تغيير الوضع الديموجرافي في المدينة لصالح الوجود اليهودي الاستيطاني³¹.

ومن أجل تحقيق السلطات لأهدافها باشرت بتحسين إجراءاتها واعتداءاتها من خلال سنّ وتطبيق جملة من القوانين أهمها: قانون ضمّ القدس إدارياً وقضائياً، وقانون التنظيمات القانونية والإدارية لسنة 1968، وقانون الإشراف على المدارس لسنة 1969، وقوانين مصادرة الأراضي، إلى غير ذلك. وهذه الاعتداءات والإجراءات ضمن مجمل الإجراءات العسكرية، كانت سبباً كافياً لدفع المقدسيين لمقاومة الاحتلال بكافة السبل والوسائل.

إضافة إلى أسباب أخرى نجملها فيما يلي:

- شعور المقدسيين بالخذلان، فبالرغم من أن مدينة القدس تعدّ أرضاً محتلة بنص 19 قراراً دولياً، إلا أن حكومات "إسرائيل" المتعاقبة تتجاهل هذه القرارات بشكل مطلق³².
- رفض المقدسيين لمخرجات مؤتمر مدريد واتفاقية أوسلو فيما يتعلق بالمدينة المقدسة، ومطالبتهم بإعادة الاعتبار لها من حيث إنها قضية تحرير³³.
- غياب الحد الأدنى من عدالة القانون والقضاء الإسرائيليين، وشعور المقدسيين في أن التشريعات والقوانين الإسرائيلية تتعمد استهدافهم وإضعافهم وتهجيرهم.
- معاناة المقدسيين المستمرة طيلة سنوات الاحتلال، على المستويات الاقتصادية والاجتماعية، والتعليمية، والسكانية، وحتى الترفيهية. نتيجة العنصرية الصارخة في تطبيق الاحتلال لسياسات هدم المنازل، وطرده السكان، وسحب الهويات، وفرض الغرامات والمخالفات الباهظة... الخ.

³¹ منظمة التحرير الفلسطينية، اللجنة التنفيذية، دائرة شؤون القدس، مرجع سابق، ص 4.

³² أحمد فارس عودة، بين الانتفاضتين (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية، 2006)، ص 222.

³³ أحمد صدقي الدجاني، الخطر يهدد بيت المقدس، ط 2 (القاهرة: المركز العربي للإعلام، 2001)، ص 99.

- فقدان المقدسيين الثقة في قدرة السلطة الوطنية الفلسطينية في الدفاع عنهم في وجه الآلة العسكرية الإسرائيلية. ويضعف من هذا الشعور عجز السلطة في الدفاع عن نفسها ومواطنيها في الضفة الغربية والقطاع.
- انسداد الأفق التفاوضي بين السلطة الفلسطينية والإسرائيليين، وتنكر الإسرائيليين لأيّ اتفاقيات وتعهدات في الشأن الفلسطيني.

سادساً: مسيرة المقاومة في مدينة القدس تاريخياً:

حفل تاريخ المدينة المقدسة بسجل طويل من المقاومة، بسبب اهتمام الحضارات والامبراطوريات المختلفة بالمدينة من الناحية الاستراتيجية. واختص العرب الفلسطينيون والمسلمون تحديداً، بانتصارات باهرة على أعدائهم وهم يخوضون المعارك على أرض القدس وأكنافها شمالاً وجنوباً وعلى امتدادها.

1. المعارك التاريخية:

يذكر الفلسطينيون عامة والمقدسيون خصوصاً هذه المعارك، باعتبارها من الأرشيف الخاص بتاريخ المدينة المقدسة. وسجلت كتب التاريخ أسماء مجاهدين وعلماء ومصلحين خرجوا من القدس لقتال الغزاة، أو أن المقدسيين استضافوا في مقابر المدينة عظماء وقادة، استشهدوا دفاعاً عن المدينة وأكنافها فصاروا مقدسيين بحكم مدافنتهم.

واشتهرت في التاريخ معارك عديدة، دارت رحاها حول المدينة المقدسة، وكانت المدينة موئلاً وعمقاً مسانداً، كمعركة أجنادين، ومعركة اليرموك، ومعارك حطين³⁴، وكذلك عين جالوت وعكا، التي واجه فيها الفلسطينيون والمسلمون جحافل الصليبيين والتتار والفرنسيين، وانتهى النصر فيها للمسلمين والفلسطينيين على أعتاب المدينة المقدسة وأكنافها.

³⁴ سيف دعنا، في مكانة بيت المقدس، موقع الجزيرة.نت، 2012/4/6، انظر: <http://bit.ly/2h4S1yb> (ربما تكون معركة حطين إحدى أهم معركتين في تاريخ الشرق العربي على الإطلاق (المعركة الأخرى عين جالوت). فهذه "الوقعة" كما وصفها جمال الدين بن واصل "كانت مفتاح الفتوح الإسلامية، وبها تيسر فتح بيت المقدس").

2. مقاومة المقدسين للانتداب البريطاني والمنظمات الصهيونية:

شملت مقاومة المقدسين للانتداب البريطاني المظاهرات والمسيرات والمقاطعة والتمرد على الضرائب، وغيرها من أشكال العصيان المدني. وكانت هناك أيضاً مئات الهجمات على خطوط السكك الحديدية، وتدمير مبانٍ حكومية بريطانية، وغيرها من البنية التحتية. إضافة إلى استهداف المقاومة الفلسطينية لمباني المستوطنين ومصالحهم. وقد وصفت كل من القيادة البريطانية والعصابات الصهيونية نشاطات المقاومة بـ"الإجرامية"، و"الخارجة عن القانون"، و"البلطجية"، و"التخريبية". فيما اتخذت السلطات البريطانية خطوات جذرية لإخماد الثورة السلمية المسلحة، على حدِّ سواء³⁵.

3. الثورة الفلسطينية الكبرى:

كان للثورة الفلسطينية الكبرى مع بداية الثلث الأول من القرن العشرين، تأثيراً كبيراً على مجرى الأحداث اللاحقة، وذلك بعدما تأسست "المنظمة الجهادية" في سنة 1928 بقيادة الشيخ عز الدين القسام ورفاقه رحمهم الله، ثم كانت "منظمة المقاومة والجهاد" في سنة 1934 برئاسة الثائر المرحوم المقدسي عبد القادر الحسيني، والتي ما لبثت أن أعيد تشكيلها في صيف 1935، واندمجت مع جهود سابقة للمفتي المرحوم الحاج أمين الحسيني، فصارت تدعى "منظمة الجهاد المقدس" برعاية وإشراف المفتي الحسيني. كذلك شاركت مجموعات من المجاهدين المقدسين أشقاءهم المصريين من "الإخوان المسلمين"، الذين أسسوا المعسكرات الجهادية لقتال القوات البريطانية والعصابات الصهيونية في الفترة 1948-1952 في قرى صور باهر وعين كارم³⁶. ولا يتسع المقام هنا لإعطاء موضوع الثورة الفلسطينية الكبرى حقه.

4. مقاومة العصابات الصهيونية:

انخرطت مجموعات فلسطينية كثيرة، من شتى المدن والقرى الفلسطينية، في مقاومة العصابات الصهيونية فور احتلالها لفلسطين سنة 1948، وكانت مراكز القيادة موزعة بين القدس والضفة الغربية وقطاع غزة. وفي الستينيات من القرن العشرين بدأ تشكل تنظيمات وفصائل عسكرية على خلفيات أيديولوجية، توجت بتأسيس

³⁵ مازن قمصية، مرجع سابق، ص 134.

³⁶ المرجع نفسه.

منظمة التحرير الفلسطينية، وقد اتخذت من الحدود الأردنية "الغور" شرقاً، وكذلك الحدود اللبنانية في الشمال والحدود المصرية في الجنوب شبه معسكرات ومراكز للانطلاق. واستمر ذلك عدة سنوات في أعقاب احتلال باقي فلسطين سنة 1967. ونذكر هنا أن العمل الفلسطيني المقاوم قد تحوّل في السبعينيات بالرغم من انحساره، إلى عمليات نوعية خارج فلسطين وداخلها، بسبب تعاظم الهمّ الإداري والاجتماعي الملقى على كاهل القيادات الفلسطينية في المخيمات والشتات، وبسبب المنحى الدبلوماسي الذي بدأ يتشكل عبر قنوات عربية وأجنبية صديقة. إلى أن قامت قوات الاحتلال الإسرائيلي بحربها الشعواء على القيادة الفلسطينية في لبنان، ومن ثمّ اضطرار القيادة للنزوح بعيداً عن حدود فلسطين نحو تونس.

The Palestinian Resistance
Against the Israeli Occupation of Jerusalem
1987–2015

هذا الكتاب

هذا الكتاب في أصله رسالة ماجستير يبحث في مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال الإسرائيلي في مدينة القدس، خلال الفترة 1987–2015، ويستعرض التسلسل التاريخي للهبات والانتفاضات، والدوافع وراء إصرار الفلسطينيين على مقاومة الاحتلال، والتي كانت السبب الأول في إعاقة التهوديد المطلق للمدينة.

ويخلص الكتاب إلى عدد من النتائج، في مقدمتها أن المقاومة في المدينة تُطوّر أداءها تبعاً للمستجدات الأمنية الإسرائيلية، كما أنها تنتقل عبر الأجيال دون توقف.

وينبه الكاتب إلى عدد من التوصيات، أهمها: تشكيل مرجعية مركزية فلسطينية قابلة للاستمرار في العمل الميداني في ظلّ البطش الإسرائيلي، وتوحيد الجهد الوطني في مقاومة الاحتلال، وتطوير المراكز البحثية المتخصصة في الشأن المقدسي، لتوثيق أعمال المقاومة في المدينة، وإشاعة الثقافة العربية الإسلامية في أوساط الفلسطينيين، والتركيز على محورية المسجد الأقصى في الصراع، وعلى وحدوية الانتماء الوطني في الدفاع عن المدينة وسكانها.

ISBN 978-9953-572-66-6



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب. 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | تليفاكس: +961 1 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

